

آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

ح

محمد بن فهد بن عبد العزيز الفريخ، ١٤٤١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفريخ، محمد بن فهد بن عبد العزيز
آيات لقوم يعقلون. / محمد بن فهد بن عبد العزيز الفريخ.
الرياض -، ١٤٤١هـ.

٦٣ص؛ ...سم

ردمك: ٢ - ٤١٩٦ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - الإسلام والعلم ٢ - الكون أ. العنوان

ديوي ٢١٤،٥ ١٤٤١/٨٩٦٥

رقم الإيداع: ١٤٤١/٨٩٦٥

ردمك: ٢ - ٤١٩٦ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

آيَاتُ لِقَوْمٍ يَغْفُلُونَ

تأليف

د. محمد بن فهد بن عبد العزيز الفوزان

عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الله ورسوله إلى خلقه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن النظر والتفكير والتأمل فيما خَلَقَ اللهُ مما يزيد في يقين العبد، ويقوي إيمانه وثباته، وقد حث الله عباده على ذلك فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف]، بل حث على النظر في حال الطيور في الهواء بأسطاط أجنحتهنَّ وَيَقْبِضْنَهَا بَعْدَ الْبَسْطِ، من الذي مسكها عَنِ الْوُقُوعِ فِي حَالِ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ أليس الله، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [الملك].

وقد يسر الله لي أن خطبتُ الجمعة عن عدد من الآيات التي دعانا ربنا سبحانه إلى النظر إليها، والتفكير فيها، مؤملاً من الله أن ينفع بهذه الخطب، وأن يمنَّ بفضله فيسّر لها من ينشرها ويترجمها إلى اللغات المختلفة.

سائلاً الله أن يهدي بها ضالاً، ويرشد غاويًا، وينبّه غافلاً، ويجعلها عنده ذخراً.

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وكتب

د. محمد بن محمد بن عبد العزيز الفوزان

يوم الثلاثاء الهولاء ٢٤/٦/١٤٤١هـ - الرياض

آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء]، **أَمَّا بَعْدُ:**

فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة].

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ بَارْتِفَاعِهَا، وَاتِّسَاعِهَا، وَكَوَاجِبِهَا، وَدَوْرَانِ فُلْكِهَا وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَالنُّجُومِ، وَفِي خَلْقِ الْأَرْضِ بِجِبَالِهَا، وَسُهُولِهَا، وَبِحَارِهَا، وَقَفَارِهَا، وَوَهَادِهَا وَعُمْرَانِهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ، لَدَلِيلًا عَلَى انْفِرَادِ اللَّهِ - تَعَالَى - بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَبَيَانَ قُدْرَتِهِ الَّتِي بَهَا خَلَقَهَا، وَحِكْمَتِهِ الَّتِي بَهَا اتَّقَنَهَا وَنَظَّمَهَا، وَهَذَا دَلِيلٌ ظَاهِرٌ لِأَهْلِ الْعُقُولِ فِي اسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ - سُبْحَانَهُ -، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

عِبَادَ اللَّهِ: تَأَمَّلُوا فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الطُّولِ وَالْقِصْرِ،

وَالظُّلْمَةَ وَالنُّورَ، وَفِي اخْتِلَافِهِمَا فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ مِنَ الْفُضُولِ، الَّتِي بِهَا انْتِظَامُ مَصَالِحِ بَنِي آدَمَ وَحَيَوَانَاتِهِمْ، أَلَيْسَ كُلُّ ذَلِكَ بِتَدْبِيرٍ وَتَسْخِيرٍ، تَنْبَهْرُ لَهُ الْعُقُولُ؟ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس].

وَمِنَ الْعَبْرِ الظَّاهِرَةِ، وَالآيَاتِ الْبَاهِرَةِ: السُّفُنُ الْجَارِيَةُ فِي الْبِحَارِ، الَّتِي تَحْمِلُ مَا يَنْفَعُ النَّاسَ، فَمَنِ الَّذِي أَلْهَمَهُمْ صُنْعَهَا، وَأَقْدَرَهُمْ عَلَيْهَا، وَخَلَقَ لَهُمْ مِنَ الْآلَاتِ مَا بِهِ يَعْمَلُونَهَا؟ أَمْ مِنَ الَّذِي سَخَّرَ لَهَا الْبَحْرَ تَجْرِي فِيهِ بِأُذُنِهِ وَتَسْخِيرِهِ؟ فَهَلْ هَذِهِ الْأُمُورُ حَصَلَتْ اتِّفَاقًا، أَمْ اسْتَقَلَّ بِعَمَلِهَا هَذَا الْمَخْلُوقُ الضَّعِيفُ الْعَاجِزُ، الَّذِي خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا قُدْرَةَ، ثُمَّ خَلَقَ لَهُ رَبُّهُ الْقُدْرَةَ، وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ، أَمْ الْمُسَخَّرُ لِذَلِكَ كُلِّهِ رَبٌّ وَاحِدٌ حَكِيمٌ عَلِيمٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ؟ ثُمَّ تَفَكَّرُوا فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ الْمَطَرِ، فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ، فَصَارَتْ مُخْضَرَّةً ذَاتَ بَهْجَةٍ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ يَابِسَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا ﴿وَأَيُّهُمْ لَمْ يَكُنْ الْأَرْضَ أَلْيَتَهُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [٣٣] وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ [يس].

ثُمَّ مَا نَشَرَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ مَا دَبَّ عَلَى وَجْهِهَا، فَقَدْ نَشَرَ فِي أَقْطَارِهَا مِنَ الدَّوَابِّ الْمُتَنَوِّعَةِ، مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَقَدْ سَخَّرَهَا لِلنَّاسِ يَنْتَفِعُونَ بِهَا، فَمِنْهَا: مَا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمِهِ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ دَرِّهِ، وَمِنْهَا: مَا يَرْكَبُونَ، وَمِنْهَا: مَا هُوَ سَاعٍ فِي مَصَالِحِهِمْ وَحِرَاسَتِهِمْ، وَمِنْهَا: مَا هُوَ مَحَلٌّ لِلتَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ، وَاللَّهُ الْقَائِمُ بِأَرْزَاقِهَا، الْمُتَكَفِّلُ بِأَقْوَاتِهَا ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هُود].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابٍ وَزَّرَعَ وَغَيْدٌ صِهْوَانٌ وَغَيْرُ صِهْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضُلٌ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الرعد].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

... أَمَا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَانظُرُوا فِي مَلَكَوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

وَانظُرُوا مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ تَقْلِيْبِ الرِّيحِ وَتَوَجِيْهِهَا، وَاخْتِلَافِهَا وَتَنوُعِهَا مِنْ بَارِدَةٍ وَحَارَّةٍ، تَأْتِي جَنُوبًا وَشَمَالًا وَشَرْقًا وَدُبُورًا، تَارَةٌ تُثِيرُ السَّحَابَ، وَتَارَةٌ تُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، وَتَارَةٌ تُلْفَحُهُ، وَتَارَةٌ تُفَرِّقُهُ، وَتَارَةٌ تُكُونُ رَحْمَةً، وَتَارَةٌ تُرْسَلُ بِالْعَذَابِ.

فَمَنْ الَّذِي صَرَّفَهَا هَذَا التَّصْرِيفِ، وَأَوَدَعَ فِيهَا مِنْ مَنَافِعِ الْعِبَادِ مَا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ؟

ثُمَّ هَذَا السَّحَابُ الْمُسَيَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى خِفَّتِهِ وَلَطَافَتِهِ يَحْمِلُ

آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

الْمَاءِ الْكَثِيرِ، فَيَسْؤِفُهُ اللَّهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ، فَيُحْيِي بِهِ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ، مَنْ الَّذِي
 أَنْشَأَهُ وَأَوْجَدَهُ؟ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ
 الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة].

إِنَّ فِي كُلِّ هَذِهِ الدَّلَائِلِ لآيَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ
 لِلْعِبَادَةِ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَأَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ، فَيَنْظُرُونَ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ،
 فَيَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا.

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ
 ضُغْثَهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَلْنَا ﴿٣٢﴾
 مِنْهَا لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [التازعات]. فَاغْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى
 آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَأَصْلِحْ حَالَ الْمُسْلِمِينَ...



السَّمَوَاتُ

اللَّهُ ﷻ قَدْ وَجَّهَ عِبَادَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى آيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ، وَالتَّفَكُّرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ، وَالشَّاهِدَةِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَثَمَّتْ مَخْلُوقٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ، أَفَسَمَ اللَّهُ بِهِ فِي عَدَدٍ مِنَ الْآيَاتِ، إِنَّهَا السَّمَوَاتُ الْعِظَامُ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قُلْ أَنْ تَجِيءَ سُورَةٌ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌهَا إِمَّا إِخْبَارًا عَنْ عَظَمَتِهَا وَسَعَتِهَا، وَإِمَّا إِفْسَامًا بِهَا، وَإِمَّا دُعَاءً إِلَى النَّظَرِ فِيهَا، وَإِمَّا إِرْشَادًا لِلْعِبَادِ أَنْ يَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى عَظَمَةِ بَانِيهَا وَرَافِعِهَا، وَإِمَّا اسْتِدْلَالَاً مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِخَلْقِهَا عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْمَعَادِ وَالْقِيَامَةِ، وَإِمَّا اسْتِدْلَالَاً مِنْهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ لَهَا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَإِمَّا اسْتِدْلَالَاً مِنْهُ بِحُسْنِهَا وَاسْتَوَائِهَا وَالتَّيَامِ أَجْزَائِهَا وَعَدَمِ الْفُطُورِ فِيهَا عَلَى تَمَامِ حِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ. . . فَكَمْ مِنْ قَسَمٍ فِي الْقُرْآنِ بِهَا كَقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١١﴾﴾ [الطارق] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ [الطارق]. . . وَلَمْ يُقْسَمِ فِي كِتَابِهِ بِشَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ السَّمَاءِ وَالتُّجُومِ وَالتَّسْمِسِ وَالتَّقَمْرِ).

أَيُّهَا النَّاسُ: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ حَلَقًا أَمِ السَّمَاءُ بِنَهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿٢٨﴾﴾ [التَّزَاعَاتِ]، يَا أَصْحَابَ الْعُقُولِ تَأَمَّلُوا وَاعْتَبِرُوا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالتَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آلِ عِمْرَانَ]، وَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء].

وَاللَّهُ قَدْ أَرْشَدَ عِبَادَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى السَّمَوَاتِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ وَإِلَى ارْتِفَاعِهَا وَاتِّسَاعِهَا وَحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي

آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ [يونس: ١٠١]،
 وَقَالَ: ﴿حَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [القمان: ١٠]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا
 بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٩]، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ
 تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (النَّظَرُ إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ الْعُلُوبَةِ وَالسُّفْلِيَّةِ عَلَى وَجْهِ التَّفَكُّرِ
 وَالْإِعْتِبَارِ مَأْمُورٌ بِهِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ).

عِبَادَ اللَّهِ: انظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ مُتَفَكِّرِينَ مُتَأَمِّلِينَ مُعْتَبِرِينَ، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ
 إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾ [الغاشية: ١٧]، ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ
 سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٢﴾
 ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٤]، اللَّهُ أَكْبَرُ
 ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

ثُمَّ اعْجَبُوا مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ الرَّسُولِ ﷺ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ
 هُوَ الْخَالِقُ لِتِلْكَ السَّمَوَاتِ ثُمَّ لَا يُفْرِدُونَهُ بِالْعِبَادَةِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

وَأَعْجَبَ مِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ رَبَّهُ؟ وَيَقُولُ: لَيْسَ لِهَذَا الْكَوْنِ خَالِقًا، ﴿أَفَى اللَّهِ
 شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] كَيْفَ لِمَخْلُوقٍ ضَعِيفٍ جَهُولٍ يَكْفُرُ
 بِرَبِّهِ؟ وَيُكَذِّبُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ؟ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا
 كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [الإسراء: ٩٩]، وَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ
 يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَخْلُقْهُمْ عَلَى أَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الأحقاف: ٢٣].

فَتَأَمَّلُوا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - قَوْلَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ
 تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [فاطر: ١٠١]،
 وَكُونُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ

فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
[آلِ عِمْرَانَ].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ
وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِهِ، وَأَحْسِنُوا عِبَادَتِهِ، وَأَدُّوا
الْأَمَانَةَ الَّتِي حُمِّلْتُمْ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ قَدْ أَبَيْنَ حَمْلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَهَذِهِ
السَّمَوَاتُ عَلَى عِظَمِهَا تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ﴾
[الإسراء: ٤٤].

عِبَادَ اللَّهِ: أَيَقْنُوا أَنَّ لَكُمْ يَوْمًا مَوْعُودًا، تَنْفَطِرُ فِيهِ السَّمَوَاتُ وَتَتَشَقَّقُ،
وَتُفْتَحُ وَتُفْرَجُ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَنُزِلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان]، فَتَأْمَلُوا
حَالَكُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿فَإِذَا فُتِحَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَحِدَةٌ﴾ [١٢] وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكِّنَا
ذِكَّةً وَحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَأَشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلِكُ
عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمْنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ
حَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ [الحاقة].

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى
النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَسِكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ

وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْحَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ وَتَصَدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر].

أَلَا فَاسْتَعِدُّوا لِدَلِكِ الْيَوْمِ بِصَالِحِ الْعَمَلِ، وَلَا تَغُرَّتْكُمُ الدُّنْيَا وَطُولُ الْأَمَلِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ...



الأَرْضُ

مَوْضِعٌ جَعَلَهُ اللهُ مُسْتَقَرًّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ، مَدَّةً وَبَسَطَهُ، فَكَانَ آيَةً مِنْ آيَاتِهِ، وَنَهَى عَنِ الْإِفْسَادِ فِيهِ، أَنْزَلَ إِلَيْهِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِيَكُونَ مَكَانًا لَهُ وَلِدْرِيَّتِهِ فَيَقْضِي اللهُ أَمْرَهُ، وَيُنْفِذَ قَدْرَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَفْرٌ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [البقرة: 36] وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 165] أَيْ: يَخْلُفُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِيهَا، ﴿وَرَفَعَ بَعْضُكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: 165] بِالْمَالِ وَالْجَاهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة: 48] أَيْ: لِيَخْتَبِرَكُمْ فِيمَا أَعْطَاكُمْ؛ لِيُظْهِرَ الْمُطِيعُ مِنْكُمْ وَالْعَاصِي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الأنعام: 165] لِمَنْ عَصَاهُ ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ جَعَلَ اللهُ الْأَرْضَ مُخْتَلِفَةً الْمَعَالِمِ مِنْ جِبَالٍ وَأَنْهَارٍ وَسُهُولٍ وَرِمَالٍ، وَأَنْبَتَ فِيهَا الزُّرُوعَ وَالْأَشْجَارَ، فَحَوَتْ عَلَى آيَاتٍ عَظِيمَةٍ، وَعَبَّرَ كَثِيرَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3] وَقَالَ: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأُلْبَانِ﴾ [الحج: ٥٤] مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ [طه].

وَنَهَى سُبْحَانَهُ عَنِ الْإِفْسَادِ فِيهَا فَقَالَ: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنِ الْيَهُودِ دَامًا لَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿المائدة: ٦٤﴾.

وَأَعْظَمُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَالْكَفْرُ بِهِ، قَالَ الْإِمَامُ
ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾
[الأعراف: ٥٦] قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: لَا تُفْسِدُوا فِيهَا بِالْمَعَاصِي، وَالِدَّاعِي إِلَى
غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ بَعْدَ إِصْلَاحِ اللَّهِ إِيَّاهَا بِبَعْثِ الرُّسُلِ وَبَيَانِ الشَّرِيعَةِ وَالِدُّعَاءِ إِلَى
طَاعَةِ اللَّهِ: مُفْسِدٌ، فَإِنَّ عِبَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ، وَالِدُّعْوَةَ إِلَى غَيْرِهِ، وَالشَّرْكَ بِهِ: هُوَ
أَعْظَمُ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، بَلْ فَسَادُ الْأَرْضِ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ
وَمُخَالَفَةُ أَمْرِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي
النَّاسِ﴾ [الرُّوم: ٤١]. وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَمِنْ آثَارِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي:
أَنَّهَا تُحْدِثُ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعًا مِنَ الْفَسَادِ فِي الْمِيَاهِ، وَالْهَوَاءِ، وَالزَّرْعِ،
وَالثَّمَارِ، وَالْمَسَاكِينِ... وَمِنْ تَأْثِيرِ مَعَاصِي اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مَا يَحِلُّ بِهَا مِنَ
الْخَسْفِ وَالزَّلَازِلِ، وَيَمْحَقُ بَرَكَتَهَا).

فَالذُّنُوبُ كُلُّهَا مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ، وَمَنْعِ الزَّكَاةِ، وَفِعْلِ الْفَوَاحِشِ،
وَالرِّبَا، وَالظُّلْمِ كُلُّهُ فَسَادٌ فِي الْأَرْضِ وَإِجْرَامٌ فِيهَا، وَكُلَّمَا انْتَشَرَتِ الْمَعَاصِي
وَتَمَّتِ الْمُجَاهَرَةُ بِهَا، عَظُمَ الْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ، وَيُوشِكُ أَنْ تُصِيبَهُمُ
الْعُقُوبَةُ، قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ
الْحَبْثُ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ]، وَالْحَبْثُ: الْفُجُورُ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ وَابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ:
(فَيَكُونُ إِهْلَاكُ الْجَمِيعِ عِنْدَ ظُهُورِ الْمُنْكَرِ وَالْإِعْلَانِ بِالْمَعَاصِي). قَالَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَمُرْشِدًا عِبَادَهُ: ﴿أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوتِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ
نَشَاءُ أَصَبْنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٤].
وَقَالَ مُخْبِرًا أَمْرًا: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَلْقَبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، فَاللَّهُ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ لِتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَتَتَّبِعُوا رَسُولَهُ ﷺ فَالْأَرْضُ مِلْكُ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

أَيُّهَا النَّاسُ: لَقَدْ حَذَرَكُمُ اللَّهُ يَوْمًا هُوَ آتٍ لَا مَحَالَهَ: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم]، جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ». اسْتَعْدُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ لِيَوْمٍ تُزَلَّزَلُ فِيهِ الْأَرْضُ وَتَمُدُّ، وَتَتَشَقَّقُ وَتُخْرَجُ أَنْقَالُهَا: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ]. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ

أَلْفَهَارِ ﴿٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨]. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ عَلَى: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «عَلَى الصِّرَاطِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

أَلَا فَاعْمَلُوا الْخَيْرَ مَا دُمْتُمْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَإِنَّكُمْ غَدًا لِلْقُبُورِ سَاكِنُونَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ، وَإِلَى مَوْلَاكُمْ تُحْشَرُونَ.
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.



الجِبَالُ

خَلَقَ عَظِيمٌ، جَعَلَهُ اللهُ مَضْرِبَ مَثَلٍ، وَعِبْرَةً لِّلْمُتَفَكِّرِ، صَيَّرَهُ اللهُ سَكَنًا لِّبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَرْسَى بِهِ أَرْضَهُ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِالتَّأَمُّلِ فِيهِ، كَيْفَ نَصَبَهُ، وَجَعَلَهُ لِلْأَرْضِ وَتَدًّا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾﴾ [الغاشية].

فَهَذِهِ الْجِبَالُ الشَّامِخَاتُ الْمُنْتَشِرَةُ فِي الْأَرْضِ مَخْلُوقَاتٌ دَالَّةٌ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَقَدْ جُعِلَتْ مَنْصُوبَةً قَائِمَةً ثَابِتَةً رَاسِيَةً لِئَلَّا تَمِيدَ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا، وَجَعَلَ اللهُ فِيهَا مَا جَعَلَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَعَادِنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النحل]، وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ [النحل: ٨١]، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَهَا وَأَرْسَاهَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَذِهِ الْجِبَالُ الْعَظِيمَةُ تَسْجُدُ لِرَبِّهَا، وَتَخَافُ مِنْ خَالِقِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴿١٨﴾﴾ [الحج: ١٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب].

وَنَبِيُّ اللهِ دَاوُدُ ﷺ كَانَتْ الْجِبَالُ تُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ، قَالَ اللهُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجْعَلُ أَوْبَى مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠]، وَقَالَ: ﴿وَسَحَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَّ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا سَحَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾

وَمِنَ الْجِبَالِ جِبَلٌ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّهُ، فَنَحْنُ نُحِبُّهُ لِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُ، وَهُوَ جِبَلٌ لَا يَجْلِبُ نَفْعًا، وَلَا يَدْفَعُ ضَرًّا بَلْ هُزِمَ جَيْشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَهُ، قَالَ ﷺ: «هَذَا أَحَدٌ، وَهُوَ جِبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ الْمُتَكَبِّرَ عَلَى خَلْقِهِ، وَالْمُعْتَرِّ بِنَفْسِهِ؛ الْمَاشِي بَيْنَهُمْ بِخِيَلَاءٍ وَعَظْمَةٍ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ صَغِيرٌ ضَعِيفٌ لَنْ يَبْلُغَ الْجِبَلَ طُولًا بَلْ سَيَكُونُ مُحْتَقَرًا وَمَبْعُوضًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ بِتَكْبَرِهِ وَعُرُورِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٢٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ [الإسراء].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْجِبَالِ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِهَا، جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أَحَدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ فَلَمْ يُجِيبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَتَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيْلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ»، قَالَ: «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمْ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي مَا كُنْتُ أُنْظُرُ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجِبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ

فَسَوْفَ تَرِنُنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ
سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ
وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاخْشَوْا يَوْمًا تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، لَا تُخْفَى عَلَيْهِ
خَافِيَةٌ، يَوْمٌ عَظِيمٌ تُبَسُّ فِيهِ الْجِبَالُ بَسًّا، وَتَسِيرُ سَيْرًا، وَتُصْبِحُ كَالْعِهْنِ
الْمَنْفُوشِ، قَالَ رَبُّنَا: ﴿وَسِرَّتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النَّبَأِ]، وَقَالَ: ﴿وَتَرَى
الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النَّمْل: ٨٨]، وَقَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ
فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا
أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه].

أَلَا فَاعْتَبِرُوا بِكِتَابِ رَبِّكُمْ، وَلْتَزِدَادُوا إِيمَانًا بِتِلَاوَتِهِ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا
الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَفْكُرُونَ﴾ [الحشر].

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ...



الرِّيَّاحُ

جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ، يُسَخِّرُهُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُسَلِّطُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ، وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، فَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ﴿٢﴾﴾ [المُرْسَلَاتِ] إِنَّهَا الرِّيَّاحُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَمَخْلُوقَاتِهِ الْعَجِيبَةِ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ آيَنُهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الرُّوم: ٤٦] جَعَلَ تَصْرِيفَهَا عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَآخِيًا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصْرَفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٦٤].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ الرِّيَّاحَ تُسَاقُ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَتَخْضَعُ لِمَشِيئَتِهِ، فَيَجْعَلُهَا لِقَوْمٍ بُشْرَى، وَيَجْعَلُهَا عَلَى قَوْمٍ عَذَابًا ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيْحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا نَذَّرَ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذَّارِيَاتِ] وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأَعْرَافِ: ٥٧].

جَعَلَ اللَّهُ الرِّيْحَ جُنْدًا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَنَصْرًا لَهُمْ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأَحْزَابِ] أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «نَصِرْتُ بِالصَّبَا وَأَهْلِكَتُ عَادَ بِالدَّبُورِ». وَالصَّبَا: الرِّيْحُ الشَّرْقِيَّةُ، وَالدَّبُورُ: الرِّيْحُ الْغَرْبِيَّةُ.

قَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا الْخَيْرَ لِمَنْ شَاءَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَوْقِحَ

فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ [الحجر] وَسَخَّرَهَا لِنَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ وَعَلَىٰ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ [ص]. وَأَهْلَكَ عَادًا بِالرِّيحِ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِقَهُمْ عَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [فُصِّلَتْ: ١٦] فَلَمَّا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ: ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنًا﴾ [الأحقاف: ٢٤] فَكَانَ الْجَوَابُ: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَبِرَ وَيَتَفَكَّرَ فِي هَذِهِ الرِّيَاحِ، وَتَضْرِيْفِ اللَّهِ لَهَا، وَأَنْ يَتَذَكَّرَ أَنَّ اللَّهَ سَلَطَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ فَأَهْلَكَتُهُمْ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَن جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ تَكَادُ أَنْ تَدْفِنَ الرَّابِحَ فَزَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «بُعِثْتُ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ». فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾ [المُلْك].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَاسْتَقِيمُوا عَلَىٰ دِينِهِ، وَالزُّمُوا شَرْعَهُ، وَاصْبِرُوا تَسْعُدُوا، وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم تَفُوزُوا.

وَقَدْ كَانَ مِنْ هَدِيهِ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

قَالَ شُرَيْحٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا هَاجَتْ رِيحٌ قَطُّ إِلَّا لِسُقْمٍ صَحِيحٍ أَوْ بُرءٍ سَقِيمٍ).
عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنَ الْأُمُورِ الْمُقَرَّرَةِ شَرْعًا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ سَبُّ الرِّيحِ إِذْ هِيَ مَأْمُورَةٌ، فَلَا يَجُوزُ شَتْمُهَا وَلَا لَعْنُهَا، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ، وَيُقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ، وَيَعْتَبَرَ بِمَا حَلَّ بِالْأُمَّمِ الْمَاضِيَةِ، فَيَبَادِرَ إِلَى مَا فِيهِ نَفْعُهُ، وَيُسَارِعَ قَبْلَ حُلُولِ أَجَلِهِ، وَالْفَائِزُ غَدًا مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.



اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

مَنْ أَعْجَبَ آيَاتِ اللَّهِ، خَلَقَهُمَا اللَّهُ ضِدَّيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، بِهِمَا تَتَحَقَّقُ مَصَالِحُ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا، وَفِيهِمَا مِنْ عَجِيبِ صُنْعِ اللَّهِ مَا يَسْتَجْلِبُ النَّظَرَ وَالتَّأْمَلَ وَالتَّفَكُّرَ، هُمَا عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْصَارِ، وَآيَةٌ ظَاهِرَةٌ لِلْعِيَانِ، إِنَّهُمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِمَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحُ إِذَا أَصْفَرَ ﴿٣٤﴾ [المدثر]، وَأَقْسَمَ بِبَعْضِ أَجْزَائِهِمَا، وَفِي حَالِ إِقْبَالِهِمَا وَإِدْبَارِهِمَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَسَ ﴿٧﴾ وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾ [التكوير]، وَقَالَ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ﴿٦﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ [الليل] وَ ﴿وَالصُّحْحَى ﴿٦﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ [الضحى]، وَقَالَ: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١٦﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٢﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَّرَ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴿٥﴾ [الفجر].

عِبَادَ اللَّهِ، لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ، فِي تَقْلِبِهِمَا مُعْتَبَرٌ، وَفِي اخْتِلَافِهِمَا مُدَكَّرٌ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ [النور]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٦٦﴾ [آل عمران]، سَخَّرَهُمَا لِعِبَادِهِ رَحْمَةً بِهِمْ، وَتَحْقِيقًا لِمَصَالِحِهِمْ، وَتَنْظِيمًا لِقُوتِهِمْ، وَإِرَاحَةً لِأَبْدَانِهِمْ، فِي أَحَدِهِمَا السُّكُونُ وَالْمَبِيتُ، وَفِي الْآخِرِ الْحَرَكََةُ وَالْمَعَاشُ: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَعَلَّكُمُ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ [الفَصْر]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٧﴾ [يونس]، فَأَيْنَ أَهْلُ الْعُقُولِ مِنَ التَّأْمَلِ فِيهِمَا، وَالنَّظَرِ فِي تَعَاقُبِهِمَا؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ

وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَحَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٦﴾ [النحل]، وَقَالَ: ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٠]، وَقَالَ: ﴿وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فِي كِتَابِهِ كَثِيرًا تَنْبِيهًُا لِهَذِهِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي غَفَلَ عَنْهَا أَكْثَرُ النَّاسِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٦﴾ [القمان]، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِنْ آيَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَهُمَا مِنْ أَعْجَبِ آيَاتِهِ، وَبَدَائِعِ مَصْنُوعَاتِهِ، وَلِهَذَا يُعِيدُ ذِكْرَهُمَا فِي الْقُرْآنِ وَيُبَدِّئُهُ.. فَنَنْظُرُ إِلَىٰ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَمَا تَضَمَّنَتْهُمَا مِنَ الْعِبَرِ وَالذَّلَالَاتِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ، كَيْفَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَلِبَاسًا يَغْشَى الْعَالَمَ فَتَسْكُنُ فِيهِ الْحَرَكَاتُ، وَتَأْوِي الْحَيَوَانَاتُ إِلَىٰ بُيُوتِهَا، وَالطَّيْرُ إِلَىٰ أَوْكَارِهَا، وَتَسْتَجِمُّ فِيهِ النُّفُوسُ وَتَسْتَرِيحُ مِنْ كَدِّ السَّعْيِ وَالتَّعَبِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتْ مِنْهُ النُّفُوسُ رَاحَتَهَا وَسُبَاتَهَا، وَتَطَلَّعَتْ إِلَىٰ مَعَايِشِهَا وَتَصْرُفُهَا جَاءَ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﷻ بِالنَّهَارِ يُقَدِّمُ جَيْشَهُ بِشِيرِ الصَّبَاحِ فَهَزَمَ تِلْكَ الظُّلْمَةَ وَمَزَقَهَا كُلَّ مُمَزَّقٍ، وَكَشَفَهَا عَنِ الْعَالَمِ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ، فَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ وَتَصْرَفَ فِي مَعَاشِهِ وَمَصَالِحِهِ، وَخَرَجَتِ الطُّيُورُ مِنْ أَوْكَارِهَا، فَيَا لَهُ مِنْ مَعَادٍ وَنَشْأَةٍ دَالٍّ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ الْمَعَادِ الْأَكْبَرِ).

أَلَا فَلْنَعْتَبِرْ أَيُّهَا النَّاسُ بِهِمَا وَنَدْكِرْ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ﴿٢٦﴾ [الفرقان].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ، وَاسْتَعِدُّوا لِلِقَائِهِ، وَاجْتَهِدُوا فِي طَاعَتِهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ بِيَدِهِ: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي آيَلٍ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام]، قَالَ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يُؤَذِّنُنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام].

وَهُوَ سُبْحَانَهُ رَحِيمٌ بِعِبَادِهِ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَيُقِيلُ عَثْرَتَهُمْ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَمُرَّانِ سَرِيعًا، أَدْرَكَ الْمُتَّقُونَ الْأَمْرَ فَعَمِلُوا، وَأَنْشَغَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ بِالْأَمَلِ فِي الْحَيَاةِ فَنَسُوا، وَالْمُوقِفُ مَنْ اسْتَغَلَ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ فِيمَا يَنْفَعُهُ، وَالْمَرْءُ أَسِيرٌ عُمُرٍ يَسِيرٍ، وَمَنْ فَاتَهُ خَيْرُ اللَّيْلِ مِنْ قِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَدُعَاءِ وَذِكْرِ فَلَا يَفْتَهُ خَيْرُ النَّهَارِ، وَالْمَغْبُونُ مَنْ ضَيَّعَ ذَلِكَ كُلَّهُ: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتَ ءَأَنَاءَ الْبَيْتِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر].

الشَّمْسُ

آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَدَلِيلٌ مِنْ دَلَائِلِ وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، خَلَقَ كَبِيرٌ ذَالٌ عَلَى عِظَمِ قُدْرَةِ اللَّهِ، إِنَّهَا الشَّمْسُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ آيَلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٧]، وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَا وَبِضَوْئِهَا وَنَهَارِهَا فَقَالَ: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشَّمْسُ]، جَعَلَهَا آيَةً يَتَفَكَّرُ فِيهَا الْمُسْلِمُ فَيَزِدُّهُ يَقِينًا، فَشَرُوقُهَا وَغُرُوبُهَا بِنِظَامٍ لَا تَحِيدُ عَنْهُ مِنْذُ خَلَقَهَا اللَّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [القمر ٣٨] وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ [٣٩] لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيَلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [٤٠] [يس].

سُبْحَانَهُ خَلَقَ قَدَّرَهُ، وَأَنْقَنَ فَأَبْهَرَ، لَمَّا زَعَمَ النَّمْرُودُ أَنَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَدًّا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلُهُ فِي أَنْ اللَّهُ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: ﴿فَاتِ اللَّهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وَالْمُشْرِكُونَ فِي زَمَنِ الرَّسُولِ ﷺ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ وَالْمَالِكُ وَالْمُدَبِّرُ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَنَنْ يُوقُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وَهُمْ مَعَ هَذَا الْإِفْرَارِ كُفَّارٌ؛ إِذْ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، فَأَقْرَبُوا بِتَوْحِيدِ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَأَشْرَكُوا فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: هَذِهِ الشَّمْسُ الْعَظِيمَةُ، الْمُتَوَهَّجَةُ الْمُشِعَّةُ تَنْقَادُ لِأَمْرِ

الله وَتَنْفِذُ أَمْرِهِ، قَالَ اللهُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٧]، وَهِيَ تَسْجُدُ لِرَبِّهَا وَتُسَبِّحُهُ بِحَمْدِهِ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ».

وَفِي كُسُوفِ الشَّمْسِ عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ، يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ، جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَكْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا مِنْ آيَاتِ اللهِ، يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ كُسُوفًا، فَادْكُرُوا اللَّهَ حَتَّى يَنْجِلِيَا».

عِبَادَ اللهُ: لَقَدْ سَخَّرَ اللهُ هَذِهِ الشَّمْسُ لِخَلْقِهِ يَنْتَفِعُونَ بِضَوْئِهَا وَشُعَاعِهَا، بِهَا تَصْلُحُ أَجْسَادُهُمْ، وَتَنْمُو زُرُوعُهُمْ، وَتَنْطَبُ ثِمَارُهُمْ، وَيَصْلُحُ مَعَاشُهُمْ، وَفِي ارْتِفَاعِهَا وَأَنْخِفَاضِهَا؛ لِتَتَنَوَّعَ فُصُولُ السَّنَةِ بَيْنَ شِتَاءٍ وَرَبِيعٍ وَصَيْفٍ وَخَرِيفٍ رَحْمَةً بِهِمْ وَفِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ مِنَ اللهِ بِالِغَةِ، وَمَصَالِحٌ لِلْخَلْقِ كَبِيرَةٌ، قَالَ اللهُ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وَلَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ فَلَمْ يَجْعَلِ الشَّمْسَ عَلَيْهِمْ مُشْرِقَةً طَوَّلَ وَقْتَهُمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصر: ٧٦]، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لَوْلَا الْغُرُوبُ لَكَانَتِ الْأَرْضُ تَحْمَى بِدَوَامِ شُرُوقِ الشَّمْسِ، وَاتِّصَالَ طُلُوعِهَا حَتَّى يَحْتَرِقَ كُلُّ مَا عَلَيْهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ فَصَارَتْ تَطْلُعُ وَقْتًا بِمَنْزِلَةِ السَّرَاجِ يُرْفَعُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ لِيَقْضُوا حَوَائِجَهُمْ ثُمَّ تُغَيَّبُ عَنْهُمْ مِثْلَ ذَلِكَ لِيَقْرَأُوا وَيَهْدُوا).

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ مَّحْوَنًا آيَةً
الَّيْلَ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ نَفْصِيلًا ﴿١١٢﴾﴾ [الإسراء].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ
وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
خَيْرِ خَلْقِهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمٍ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَاعْتَبِرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَانظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ
اللَّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُتُوبَ مُسِيءُ
اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ
فَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينٌ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَوْ تَكُنَّ ءَامَنَتْ
مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَدْنُو الشَّمْسُ إِلَى الْخَلْقِ، قَالَ الْمُقَدَّادُ بْنُ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى
تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ»، قَالَ الرَّائِيُّ عَنِ الْمُقَدَّادِ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي
بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ. قَالَ: «فَيَكُونُ
النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ

يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُ الْعَرَقُ
إِلْجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ تُكَوِّرُ الشَّمْسُ وَيَذْهَبُ نُورُهَا، وَتُجْمَعُ مَعَ
القَمَرِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَجَمَعَ السَّمْسُ وَالْقَمَرَ ﴿٩﴾﴾ [الْقِيَامَةِ]، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي
هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكْوَرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

أَلَا فَلِتَسْتَعِدُّوا لِذَلِكَ الْيَوْمِ بِصَالِحِ الْعَمَلِ، وَاحْذَرُوا طَوْلَ الْأَمَلِ،
وَادْعُوا رَبَّكُمْ أَنْ يَظْلَكُمْ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ، وَأَنْ يُورِدَكُمْ حَوْضَ نَبِيِّهِ، وَأَنْ
يُدْخِلَكُمْ جَنَّتهُ.



القَمَرُ

آيَةٌ كَوْنِيَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى خَالِقِهَا، وَدَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ، فَاقْ جَمَالًا، وَازْدَانْ بَدْرًا، آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَعَظِيمٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، إِنَّهُ الْقَمَرُ، أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ (٣٢)﴾ [المدثر]، وَقَالَ: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا (٢)﴾ [الشمس]، وَأَقْسَمَ بِهِ فِي حَالِ احْتِمَالِهِ وَاجْتِمَاعِ نُورِهِ فَقَالَ: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا أَسَقَ (١٨)﴾ [الانشقاق].

هُوَ مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ، وَالْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَمَنْ عَابَتْهُ آيَاتُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ [فصلت: ٣٧] وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

وَهَذَا الْقَمَرُ مُطَبَعٌ لِخَالِقِهِ، مُسَخَّرٌ بِأَمْرِهِ، يُسَبَّحُ بِحَمْدِهِ، وَيَسْجُدُ لَهُ: ﴿الَّذِي تَرَأَتْ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨].

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ سَخَّرَ اللَّهُ الْقَمَرَ لِعِبَادِهِ يَجْرِي بِتَقْدِيرِ مُحْكَمٍ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ آيَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ (٣٣)﴾ [إبراهيم]، وَجَعَلَ لَهُ ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ مَنْزِلًا فِي ثَمَانِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ كُلِّ شَهْرٍ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنْازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]. فَمَنْ كَانَ عَاقِلًا مُسْتَبْصِرًا أَدْرَكَ آيَةَ اللَّهِ فِيهِ، وَإِتْقَانَ صُنْعِهِ، فَفِي تَقَلُّبِ أَحْوَالِ الْقَمَرِ وَتَسْخِيرِ اللَّهِ مُعْتَبَرٌ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ آيَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأنعام: ١٠١] فِي ذَلِكَ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿[النحل].﴾

عِبَادَ اللَّهِ، الْكُفَّارُ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ لِلْقَمَرِ وَلِغَيْرِهِ، وَلَمْ يُنْجِبْهُمْ ذَلِكَ مِنَ النَّارِ، وَلَمْ يَدْخُلُوا بِهِ فِي الْإِسْلَامِ؛ إِذْ لَمْ يُفْرِدُوا اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ، بَلْ دَعَوْا غَيْرَهُ مَعَهُ، وَدَبَّحُوا لِغَيْرِهِ، وَقَصَدُوا الْأَصْنَامَ لِتَكُونَ لَهُمْ شَافِعَةً، وَتَقَرَّبُوا بِبَعْضِ الْعِبَادَاتِ لَهَا، كَمَا يَفْعَلُ أَصْحَابُ الْقُبُورِ فِي هَذَا الزَّمَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنَّ يَفُوكُونَ﴾ [العنكبوت].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد]، فَاعْتَبِرُوا بِخَلْقِ اللَّهِ لِلْقَمَرِ، وَتَأَمَّلُوا فِي تَحْوِيلِهِ، وَتَفَكَّرُوا فِي اخْتِلَافِ مَنَازِلِهِ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْبَاهِرَةِ غَافِلِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وانظر إلى القمر وعجائب آياته كيف بيديه الله كالخيط الدقيق، ثم يتزايد نوره ويتكامل شيئاً فشيئاً كل ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وكماله وتمامه، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى ليظهر من ذلك مواقيت العباد في معاشهم وعباداتهم ومناسكهم، فتميزت به الأشهر والسنون، وقام به حساب العالم، مع ما في ذلك من الحكم والآيات والعبر التي لا يحصيها إلا الله، فهل هذا إلا صنع من بهرت العقول حكمته، وشهدت مصنوعاته ومبتدعاته بأنه الخالق البارئ المصور الذي ليس كمثلته شيء، أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل ما صنعه، وأنه العليم الحكيم الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأن هذه إحدى آياته الدالة عليه، وعجائب مصنوعاته، إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس

والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين).

نعم... تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الَّذِي فَطَرَ هَذَا الْقَمَرَ وَسَوَاهُ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (٦٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٦﴾ [الفرقان].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَاسْتَغْفِرُ اللهُ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا أَمَا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَاعْتَبِرُوا بِآيَاتِهِ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى آلَاتِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ السَّاعَةَ قَدْ أَقْتَرَبَتْ، وَمَوْعِدُ الْقِيَامَةِ لَيْسَ عَنْكُمْ بِبَعِيدٍ، وَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْنَتْ بِبَصَرٍ وَوَلَّتْ حَذَاءً، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (وَهَذَا أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَيِ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ قَدْ وَقَعَ فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ كَانَ إِحْدَى الْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ).

عِبَادَ اللهِ: وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَخْسِفُ الْقَمَرُ وَيَذْهَبُ نُورُهُ وَضِيَاؤُهُ ثُمَّ يَكُونُ مَعَ الشَّمْسِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ﴾ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ [القيامة] فَمَنْ عِبَادِ اللهِ ذَلِكَ الْيَوْمُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَوَجُوهُهُمْ كَالْبَدْرِ قَدْ اكْتَمَلَ نُورًا، قَالَ ﷺ: «لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ

سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ مُتَمَاسِكُونَ أَخِذْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا يَدْخُلُ أَوْلَهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ
آخِرُهُمْ، وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

فَهَنِيئًا لِمَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ، وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَافِظَ عَلَى
الصَّلَوَاتِ، وَفَعَلَ الصَّالِحَاتِ، وَتَابَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، فَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ،
قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ
سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ
لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ،
فَاعْمَلُوا» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].



النُّجُومُ

آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، زَيْنَ بِهَا السَّمَاءُ، وَجَعَلَهَا عِلَامَاتٍ وَبِأَمْرِهِ مُسَخَّرَاتٍ، أَقْسَمَ بِهَا وَعَاقَبَ مَنْ شَاءَ بِشَهَابِهَا، تَسُرُّ النَّاطِرِينَ وَيَهْتَدِي بِهَا بَعْضُ السَّائِرِينَ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢] كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] يُؤَسَفُ أَي: لَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا خَلَقَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْإِتْسَاعِ الْعَظِيمِ، وَالْإِرْتِفَاعِ الْبَاهِرِ، وَمَا زُيِّنَتْ بِهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ فِي لَيْلِهَا، وَفِي نَهَارِهَا).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ [التحل: ١٦]، وَقَالَ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [٩٦] وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ [الأنعام: ٩٧]، وَقَالَ: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [التحل: ١٦].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: النُّجُومُ خَلَقَ عَظِيمٌ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، فَهِيَ تَسِيرُ وَإِلَى مَسَاقِطِهَا فِي مَعَارِبِهَا تَهْوِي.

أَقْسَمَ اللَّهُ بِهَا وَبِمَوَاقِعِهَا وَعَظَّمَ ذَلِكَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [٧٥] وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ [الواقعة: ٧٦]، وَإِنَّمَا كَانَ

القسم عظيمًا، لأن في النجوم وجريانها، وسقوطها عند مغاربها، آيات وعبرًا لا يمكن حصرها.

وَالنُّجُومُ تَسْجُدُ لِرَبِّهَا، وَتَخْضَعُ لِأَمْرِ خَالِقِهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ]، وَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحَجَّ: ١٨].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ النُّجُومَ وَالْأَنْوَاءَ لَا تَجْلِبُ رِزْقًا، وَلَا تَكْشِفُ غَيْبًا، وَلَا تَسْقِي أَرْضًا، وَلَا تَرُدُّ غَائِبًا، قَالَ الْبُخَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ: (قَالَ قَتَادَةُ: خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بغيرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرِيَّتَهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾ [حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ] ﴿٧﴾ إِلَّا مِنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ، شَهَابٌ مُّبِينٌ ﴿٨﴾ [الْحَجَر].

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ لِلنَّجْمِ تَأْثِيرًا أَوْ أَنَّهُ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْغَيْبِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَضِيَ اللَّهُ: (عِلْمُ تَأْثِيرِ النُّجُومِ بَاطِلٌ مُحَرَّمٌ، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ كَالْتَقَرُّبِ إِلَى النُّجُومِ)، وَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ سِحْرِ، زَادَ مَا زَادَ».

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ أَصْلَبٍ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ [الطَّارِق].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ
وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَتَفَكَّرُوا فِي آيَاتِهِ، وَاَنْظُرُوا إِلَى عَظِيمِ مَا خَلَقَ فِي
أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، وَتَأَمَّلُوا فِي تِلْكَ النُّجُومِ الْمُضِيئَةِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ،
وَاعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ وَلَهَا يَوْمًا مَوْعُودًا تَنْزَلُزُ فِيهِ الْأَرْضُ وَتَرْجُ، وَتَنْفَطِرُ فِيهِ
السَّمَوَاتُ وَتَنْفَرُجُ، وَتُطْمَسُ النُّجُومُ وَتَنْكَدِرُ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ
طُمِسَتْ ﴿١٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿١٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْنِتْ ﴿٢١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ
أُجِلَتْ ﴿٢٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

[المُرْسَلَات].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: كُونُوا مِنْ حِزْبِ اللَّهِ الْمُفْلِحِينَ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ
الْجَاهِلِينَ الَّذِينَ يَسْتَسْقُونَ بِالنُّجُومِ، وَيَقُولُ: مُطْرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، أَلَا
فَاجْعَلُوا وُجُوهَكُمْ لِلَّهِ وَأَقِيمُوا الدِّينَ لَهُ، وَاتَّبِعُوا سُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ تَحُوزُوا الْخَيْرَ.



الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ

مِنْ عَجَائِبِ الْكَوْنِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، وَهُمَا آيَاتَانِ عَظِيمَتَانِ دَالَّتَانِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ، جَعَلَهُمَا اللَّهُ خَوْفًا وَطَمَعًا لِعِبَادِهِ، وَأَمَرَ بِالتَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ الْقَائِدِ إِلَى عِبَادَتِهِ، إِنَّهُمَا آيَةُ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَنْ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٤) [الرُّوم]، فَالْبَرْقُ آيَةٌ وَعَلَامَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (١١) [الرَّعْد]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُسَخِّرُ الْبَرْقَ، وَهُوَ مَا يُرَى مِنَ النُّورِ اللَّامِعِ سَاطِعًا مِنْ خِلَلِ السَّحَابِ... خَوْفًا: يَخَافُ أَذَاهُ وَمَشَقَّتَهُ، وَطَمَعًا: يَرْجُو مَنَفَعَتَهُ، وَيَطْمَعُ فِي رِزْقِ اللَّهِ)، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوُدُقَ يُخْرَجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ (٤٣) [النُّور].

إِنَّ الْبَرْقَ آيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَيُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي السَّرْعَةِ، قَالَ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الرَّعْدَ، وَهُوَ الصَّوْتُ الْمُدَوِّي فِي السَّمَاءِ، تَكَادُ أَنْ تَنْخَلِعَ مِنْهُ الْقُلُوبُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنَ الصَّوَغِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) [البَقَرَة].

آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

وَالصَّوَاعِقُ مُمْتَلِئَةٌ أَمْرَ رَبِّهَا، يُصِيبُ اللَّهُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (يُرْسِلُهَا نِقْمَةً يَنْتَقِمُ بِهَا مِمَّنْ يَشَاءُ، وَلِهَذَا تَكَثَّرَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ).

قَالَ الشَّنَقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالصَّاعِقَةُ تُطَلَّقُ عَلَى الصَّوْتِ الْمُزْعَجِ الْمُهْلِكِ، وَعَلَى النَّارِ الْمُحْرِقَةِ، وَعَلَيْهِمَا مَعًا).

وَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ بِهَا أَقْوَامًا فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ الْعَذَابِ أَلْهُونَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [١٧] ﴿[فُضِّلَتْ].

وَحَذَّرَ الرَّسُولُ ﷺ الْكُفَّارَ أَنْ تُصِيبَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [١٣] ﴿[فُضِّلَتْ].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ التَّأْمَلَ فِي الْبَرْقِ بِإِضَاعَتِهِ وَإِشْعَاعِهِ وَرُبَّمَا إِحْرَاقِهِ، وَالرَّعْدُ بِدَوِيِّهِ وَقُوَّةِ صَوْتِهِ، لِيَجْعَلَ الْمُسْلِمَ يَزْدَادُ خُضُوعًا لِرَبِّهِ، وَيَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ مَا خَلَقَ هَذَا عَبَثًا بَلْ يَقُولُ مُسْتَسْلِمًا لِرَبِّهِ: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، فَكَمْ أَوْقَفَ صَوْتُ الرَّعْدِ مُتَحَدِّثًا، أَوْ أَجْلَسَ قَائِمًا، أَوْ نَبَهَ نَائِمًا، وَكَمْ أَضَاءَ الْبَرْقُ لَيْلَةً حَتَّى عَدَّتْ كَأَنَّهَا صَبَاحًا فِي مَنْظَرٍ جَمِيلٍ مَهِيْبٍ مُخِيفٍ.

أَلَا فَتَفَكَّرُوا فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَلَا تَكُونُوا مِمَّنْ لَا يَعْتَبِرُ بِهَا، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُمِرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [١٥] ﴿[يُوسُف].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:
فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَاسْتَعِدُّوا لِلِقَائِهِ، وَبَادِرُوا إِلَى مَرْضَاتِهِ،
وَاعْتَبِرُوا بِمَا تَرَوْنَهُ مِنْ آيَاتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ: الرَّعْدُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، وَهُوَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى:
﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد: ١٣]، فَيُسْتَحَبُّ لَكُمْ إِذَا
سَمِعْتُمُ الرَّعْدَ أَنْ تُسَبِّحُوا اللَّهَ، فَقَدْ ثَبَتَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ
إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَوَعِيدٌ شَدِيدٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ. لِرِوَاةِ مَالِكٍ
فِي الْمُوطَّأِ وَالْبَخَارِيِّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ].

وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ كَطَاوُوسَ وَالْأَسْوَدِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ
الرَّعْدِ، قَالَ: سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ لَهُ.

أَلَا فَتُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ، وَادْعُوهُ أَنْ يَرْحَمَكُمْ، وَأَقْبِلُوا عَلَى مَا يَنْفَعُكُمْ،
وَلَا تَعْتَرُوا بِأَعْمَالِكُمْ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى
آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَأَصْلِحْ حَالَ الْمُسْلِمِينَ...



الْمَطَرِ

إِنَّ اللَّهَ أَقَامَ الدَّلَائِلَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَجَعَلَ الْبَرَاهِينَ دَالَّةً عَلَى وُجُوبِ تَوْحِيدِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدَابٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النمل]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمُرَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام].

فَاللَّهُ جَعَلَ نَزُولَ الْمَطَرِ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً عَظِيمَةً، وَبُرْهَانًا عَلَى الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ الْمُتَأَمِّلَ فِيهَا، وَالنَّاطِرَ لِآثَارِهَا: يَعْظُمُ يَقِينُهُ، وَيَزْدَادُ إِيمَانُهُ، وَيَلْتَجِي إِلَى رَبِّهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ، وَرَاغِبًا فِيمَا عِنْدَهُ؛ إِذْ بِقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ الْقَطْرَ، وَأَنْبَتَ بِهِ الزَّرْعَ، وَأَدْرَأَ الصَّرْعَ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [التحل].

عِبَادَ اللَّهِ: تُمَسِّي الْأَرْضُ مَيَّتَةً لَا حَيَاةَ فِيهَا وَلَا زَرْعَ وَتُصْبِحُ بَعْدَ نَزُولِ الْمَاءِ عَلَيْهَا أَرْضًا ذَاتَ بَهْجَةٍ! قَالَ اللَّهُ: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [التحل]، وَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصُفِحَ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ [الحج].

عِبَادَ اللَّهِ: مَا أضعَفَ الخَلْقَ أَمَامَ جُنْدِ اللَّهِ هَذَا المَاءُ يُنْزَلُهُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ فَيَجْعَلُهُ حَيَاةً لِقَوْمٍ، وَهَلَاكًا لِآخَرِينَ وَعُقُوبَةً لَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصْرَتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء].

مَنْ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ بِالمَاءِ النَّازِلِ مِنَ السَّحَابِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿٧١﴾﴾ [الرعد].

فَاعْتَبِرُوا - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَتَأَمَّلُوا فِي السَّحَابِ الَّتِي تَحْمِلُ المَاءَ فَيُنْزِلُهُ مِنْهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى بِلَادِكُمْ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْخِجُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَنَفَعْنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:
فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمَةِ أَنْزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ،
وَقُولُوا حِينَ نَزُولِهِ كَمَا قَالَ رَسُولُكُمْ ﷺ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ].

وإِيَّاكُمْ وَكُفْرَانَ النِّعْمَةِ بِنِسْبَتِهَا لِغَيْرِهِ سُبْحَانَهُ، فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ
عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ
الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَقْبَلَ
عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،
قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرْنَا بِفَضْلِ
اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطْرْنَا بِنَوْءِ كَذَا
وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

وَوَقْتُ نَزُولِ الْغَيْثِ وَمَجِيئِهِ عِلْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَعَنْ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي
عَدِي إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ
أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ
إِلَّا اللَّهُ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ]. فَالْجَزْمُ بِنَزُولِ الْمَطَرِ فِي الْيَوْمِ الْفُلَانِيِّ هَذَا مِمَّا
اِخْتَصَّ اللَّهُ بِعِلْمِهِ، وَأَمَّا التَّوَقُّعَاتُ بِنَاءٍ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ فِي جَرِي
السَّحَابِ وَسُمْكِهَا وَاتِّجَاهِ الرِّيَّاحِ فَأَمْرُهَا يَسِيرٌ، وَلَا حَرَجَ فِي الْأَخْذِ بِهَا.

الماء

نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمِنَّةٌ مِنَ الرَّبِّ ﷻ كَبِيرَةٌ، مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، سِرٌّ عَجِيبٌ، أَخْبَرَ اللَّهُ بِفَضْلِهِ، وَأَمَرَ بِالْمَحَافَظَةِ عَلَيْهِ، وَحَشَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِقْتِصَادِ فِيهِ، وَحَرَّمَ تَلْوِيثَهُ، إِنَّهُ الْمَاءُ، هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، مَادَّةُ الْحَيَاةِ، مِنْ أَثْمَنِ الْمَوْجُودَاتِ، وَأَعْلَى الْمَفْقُودَاتِ، بَذْلُهُ مِنْ أَفْضَلِ الصَّدَقَاتِ.

شَرَّفَهُ اللَّهُ بِأَنْ كَانَ عَرْشُهُ عَلَيْهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هُود: ٧].
 جَعَلَ مِنْهُ الْحَيَاةَ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].
 وَجَعَلَهُ رَحْمَةً عَلَى خَلْقِهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى]. وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَنْ أُعْطِيَ كُلَّ نَبِيٍّ حَوْضًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأُعْطِيَ نَبِيَّنَا ﷺ الْكَوْثَرَ، وَهُوَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ يَصُبُّ فِي حَوْضِ الرَّسُولِ ﷺ تَشْرَبُ مِنْهُ أُمَّتُهُ، وَذَلِكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ.

وَأَمَتَّنَ اللَّهُ بِالْمَاءِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فَجَعَلَ لَهُمْ أَنْهَارًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: ١٥]. بِالْمَاءِ يُخْرِجُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ النَّبَاتَ وَالشُّمَارَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام]. قَالَ الشَّنْفِيطِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إِنْزَالُ الْمَاءِ مِنْ

آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

السَّمَاءِ فِيهِ عَجَائِبٌ وَغَرَائِبٌ، يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ تَأْمُلُهَا... أَيْقِدِرُ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ هَذَا).

وَالْخَلْقُ قَدْ خُلِقُوا مِنْهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [النور: ٤٥]، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِمَّ خُلِقَ الْخَلْقُ؟ قَالَ: «مِنَ الْمَاءِ»، قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رحمته الله: (حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَاءَ مَادَّةٌ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ).

عِبَادَ اللَّهِ: عَاقَبَ اللَّهُ بِالْمَاءِ قَوْمًا فَأَغْرَقَهُمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وَحَرَّمَهُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٥٠]. ثُمَّ إِذَا سَقُوا فَإِنَّهُمْ يُسْقَوْنَ مَاءً حَارًّا يُقَطِّعُ بَطُونَهُمْ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الْمَاءِ فَحَرَّمَ الْإِسْرَافَ فِيهِ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وَكَانَ رَسُولُنَا صلى الله عليه وسلم: «يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَنَهَى صلى الله عليه وسلم عَنْ تَلْوِثِهِ، فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ». بَلْ نَهَى صلى الله عليه وسلم: «أَنْ يَتَنَفَّسَ الشَّارِبُ فِي الْإِنَاءِ» [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [الب: ١٠]. يُبَيِّنُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [التحل: ١].

الخطبة الثانية

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَأَحْسِنُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ بِاسْتِعْمَالِ نِعْمِهِ فِي طَاعَتِهِ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعْمَةِ الْمَاءِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَلَا تُسْرِفُوا، وَعَلِّمُوا أَنْكُمْ مَسْئُولُونَ عَنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَعَلِّمُوا أَنَّ الْهَدَرَ الَّذِي نَرَاهُ وَقَعًا فِي اسْتِعْمَالِ بَعْضِ النَّاسِ لِلْمِيَاهِ، لَا يَجُوزُ، سَوَاءً كَانَ دَاخِلًا فِي مُلْكِهِ، أَوْ هُوَ فِي الْمَرَافِقِ الْعَامَّةِ.

لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. قَالَ الرَّبِيبُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا هُمَا الْأَسْوَدَانِ: الْمَاءُ، وَالتَّمْرُ؟ قَالَ: «أَمَّا إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ» [أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ].

قَالَ مُجَاهِدٌ رضي الله عنه فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] عَنْ كُلِّ لَذَّةٍ مِنْ لَذَاتِ الدُّنْيَا.

فَعَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -: الْإِفْتِصَادَ وَعَدَمَ الْإِسْرَافِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَحَذْرُوهُمْ مِنْ مَغَبَّةِ الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ، وَكُونُوا قُدُورَةً صَالِحَةً لَهُمْ.



الشَّجَرُ وَالنَّبَاتُ مِنْ أَعْجَبِ الْآيَاتِ

خَلَقَ عَجِيبٌ جَعَلَهُ اللهُ مُتَفَاوِتًا فِي نَفْعِهِ وَعُمْرِهِ، هُوَ مِنْ آيَاتِ اللهِ الظَّاهِرَةِ، وَإِبْدَاعَاتِهِ الْبَاهِرَةِ، إِنَّهَا النَّبَاتُ وَالْأَشْجَارُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام]. أَشْجَارٌ يَتَشَابَهُ فِي الْوَرَقِ، قَرِيبُ الشَّكْلِ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، وَيَتَخَالَفُ فِي الثَّمَارِ شَكْلًا وَطَعْمًا، قَالَ اللهُ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ [الرعد].

أَلَا فَلْتَتَفَكَّرْ يَا عِبَادَ اللهِ فِي قُدْرَةِ خَالِقِهِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ حَطْبًا صَارَ عِنَبًا وَرُطْبًا، اخْتِلَافٌ فِي الْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ وَالطُّعُومِ وَالرَّوَائِحِ وَالْفَوَائِدِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبَاتَاتِ: (فَهَذَا يُغَدِّي، وَهَذَا يُصْلِحُ الْعَدَاءَ، وَهَذَا يُنْفِذُهُ، وَهَذَا يُضَعِّفُ. وَهَذَا سُمٌّ قَاتِلٌ، وَهَذَا شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ، وَهَذَا يُمْرِضُ، وَهَذَا دَوَاءٌ مِنَ الْمَرَضِ... وَهَذَا يُهَيِّجُ الدَّمَ، وَهَذَا يُسَكِّنُهُ، وَهَذَا يُنَوِّمُ، وَهَذَا يَمْنَعُ النَّوْمَ، وَهَذَا يُفْرِحُ، وَهَذَا يَجْلِبُ الْغَمَّ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَجَائِبِ النَّبَاتِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَخْلُو وَرَقَةً مِنْهُ وَلَا عِرْقٌ وَلَا ثَمْرَةٌ مِنْ مَنَافِعَ تَعَجُّزُ عُقُولُ الْبَشَرِ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهَا وَتَنْفِصِيلِهَا)، وَقَالَ ابْنُ

كَثِيرٍ ﷻ : (فَهَذَا الْإِخْتِلَافُ فِي أَجْنَاسِ الثَّمَرَاتِ وَالزُّرُوعِ، فِي أَشْكَالِهَا وَالْوَانِيهَا، وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا، وَأَوْرَاقِهَا وَأَزْهَارِهَا.

فَهَذَا فِي غَايَةِ الْحَلَاوَةِ وَذَا فِي غَايَةِ الْحُمُوضَةِ، وَذَا فِي غَايَةِ الْمَرَارَةِ وَذَا عَفِصٌ، وَهَذَا عَذْبٌ وَهَذَا جَمَعَ هَذَا وَهَذَا، ثُمَّ يَسْتَحِيلُ إِلَى طَعْمٍ آخَرَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذَا أَصْفَرٌ وَهَذَا أَحْمَرٌ، وَهَذَا أَبْيَضٌ وَهَذَا أَسْوَدٌ وَهَذَا أَزْرَقٌ... مَعَ هَذَا الْإِخْتِلَافِ الْكَبِيرِ الَّذِي لَا يَنْحَصِرُ وَلَا يَنْضَبِطُ، فَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيًا، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الدَّلَالَاتِ عَلَى اللَّهِ، الَّذِي بِقُدْرَتِهِ فَآوَتْ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ وَخَلَقَهَا عَلَى مَا يُرِيدُ).

أَلَيْسَ مَنْ صَنَعَ هَذَا، فَأَحْكَمَ مَا صَنَعَ، مُسْتَحِقٌّ لِلْعِبَادَةِ، وَقَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ؟ بَلَى وَاللَّهِ، ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلٌ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِنَا أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي آخِيهَا لَمُحِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فُضِّلَتْ].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَجَعَلَ مَا يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ آيَةً يَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَيَنْتَفِعُونَ مِنْهَا، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَأَيُّهُ لَكُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْتُهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يس].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿١٤﴾﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ

صَبًا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْلَغْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبًّا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَنَّاعًا لَكُمْ وَلِأَعْمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴿عَبَسَ﴾.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعْنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَتَدَبَّرُوا فِي آيَاتِهِ، وَتَأَمَّلُوا فِي مَصْنُوعَاتِهِ، خَلَقَهَا فَأَنْقَنَهَا، وَفَطَرَهَا فَأَحْسَنَهَا، جَعَلَ حَيَاتَهَا عِبْرَةً، وَمَوْتَهَا عِبْرَةً، تَنْمُو تِلْكَ الْأَشْجَارُ وَتُثْمِرُ، وَتَكْبُرُ النَّبَاتَاتُ وَتَزْهُو وَتَخْضِرُ، ثُمَّ تَذُبُلُ وَتَمُوتُ وَتَكُونُ حُطَامًا، وَكَذَلِكَ الْحَيَاةُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يُونُسَ].

وَالشَّجَرُ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَيَسْجُدُ لَهُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ

يَسْجُدَانِ ﴿١﴾﴾ [الرَّحْمَنِ].



الْحَرُّ

أُخْرِجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا، إِلَّا كَرَائِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا». وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

عِبَادَ اللَّهِ: هَكَذَا ضَرَبَ رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلَ الدُّنْيَا، لَوْ تَأَمَّلَ الْمَرْءُ حَقِيقَتَهَا لَهَانَتْ عَلَيْهِ، فَهُوَ كَرَائِبٍ يَسِيرٌ فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ بِتَعْبِهِ وَنَصْبِهِ فَيَسْتَرِيحُ سَاعَةً تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ يُفَارِقُهَا، كَمَا يُفَارِقُ أَهْلُ الدُّنْيَا دُنْيَاهُمْ.

وَإِنَّ مِنَ الْعِبَرِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ: شِدَّةَ الْحَرِّ فَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ يَا رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ».

انظُرُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ كَيْفَ تَفِرُّ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ إِلَى الظِّلِّ! وَكَيْفَ تَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ يُظَلُّهَا وَتَتَبَرَّدُ فِيهِ! اللَّهُ أَكْبَرُ... كَمْ مِنْ اللَّهِ عَلَى بَنِي آدَمَ مِنْ نِعَمٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ ﴿٨١﴾ [التحل].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّكُمْ تَنَعَمُونَ فِي وَسَائِلَ لِلرَّفَاهِيَةِ، وَأَجْهَزَةَ لِلرَّاحَةِ، مِنْ تَكْيِيفٍ وَتَبْرِيدٍ لَمْ تَكُنْ عِنْدَ أَسْلَافِكُمْ، ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم].

فَاسْتَعِينُوا بِمَا هَيَّأَهُ اللَّهُ لَكُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ، وَلَا يُصِيبِكُمُ الْكَسَلُ عَنْ أَدَاءِ فَرَائِضِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِمَّنْ تَرَكَ الْوَاجِبَاتِ مُتَعَدِّرًا بِالْحَرِّ، وَاعْتَبِرُوا بِقَوْلِ اللَّهِ عَنْ أَوْلِيكَ الْمُتَخَلِّفِينَ: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [٨١] فَلْيُضْحِكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَتَفَكَّرُوا فِي تَقَلُّبَاتِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَاخْتِلَافِهَا بَيْنَ بَرْدٍ وَحَرٍّ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ». وَيَتَأَكَّدُ هَذَا فِي فَضْلِ الصَّيْفِ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَنَطَّفَ وَيَتَطَيَّبَ وَيَكُونَ مِثَالًا وَقُدْوَةً فِي الْخَيْرِ.

أَلَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ بِطَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَنِ الدُّنْيَا رَاحِلُونَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ مُحَاسَبُونَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

أَيَّامُ الصَّيْفِ وَشِدَّةُ الْحَرِّ

قَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَتِ النَّارُ رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذَنْ لِي أَتَنْفَسُ. فَأَذَنْ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٌ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفْسٌ فِي الصَّيْفِ، فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ أَوْ حَرُورٍ فَمِنْ نَفْسٍ جَهَنَّمَ».

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَمْ نِعْمَةً نَتَقَلَّبُ فِيهَا، وَكَمْ مِنْ آلَةٍ مِنْ اللَّهِ بِهَا عَلَيْنَا لَمْ تَكُنْ عِنْدَ مُلُوكٍ فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ: تَمُرُّ عَلَيْنَا الْفُصُولُ وَالشُّهُورُ، وَتَمْضِي بِنَا الْأَيَّامُ وَالذُّهُورُ، وَيَأْتِينَا زَمْهَرِيرُ الشِّتَاءِ، فَتَسْتَعِدُّ لَهُ بِالْمَلَابِسِ وَالْمَوَاقِدِ وَعَیْرِهَا، وَيَأْتِينَا حَرُّ الصَّيْفِ، فَتَسْتَعْمَلُ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَيْرٍ فِي كَسْرِ حَرُورَتِهِ، وَتَخْفِيفِ وَهَجِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ يُدْرِكُنَا شَيْءٌ مِنْ لَهْبِهِ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِنَا وَإِشْفَاقِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم عَلَيْنَا أَنْ أَمَرْنَا بِالْإِبْرَادِ بِصَلَاةِ الظُّهْرِ حَتَّى تَذْهَبَ شِدَّتُهُ، فَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَنَا صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أَبْرِدُوا بِالظُّهْرِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: تَذَكَّرُوا بِحَرَارَةِ الصَّيْفِ وَطُولِ نَهَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ تَقْرُبُ الشَّمْسُ مِنَ الْخَلَائِقِ بِمِقْدَارِ مِيلٍ، وَالنَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ الْمُقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَمَامًا». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.

وَأَخْرَجَ الشَّيْحَانَ وَاللَّفْظَ لِلْبَحَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَدِيدُ الْحَرِّ: فَالشمسُ من الرأسِ دانيةً، طويلُ النهارِ: فمقدارهُ خمسون ألفَ سنةً، عظيمُ الموقفِ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين]، فخذوا من دنياكم ما يُنجيكم في يومِ معادكم، واستعدوا لذلك اليومِ فإنكم واقفون فيه لا محالة، واعلموا أن هناك ظلًّا يمنُّ اللهُ به على بعضِ عباده المؤمنين فيظلُّهم في ظلِّ عرشه، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإمامُ العادلُ، وشابٌّ نشأ في عبادةِ الله، ورجلٌ قلبه معلقٌ في المساجدِ، ورجلانِ تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ دعتُه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال إني أخافُ الله، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ يمينه ما تنفقُ شماله، ورجلٌ ذكرَ الله خالياً ففاضت عيناه».

أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ.

☆ الخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ ☆

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَاسْتَعْمِلُوهَا فِي طَاعَتِهِ، فَقَدْ تَهَيَّأَ لَكُمْ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ وَطُرُوفِهَا مَا لَمْ يَنْتَهَيَا لِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَاصْبِرُوا عَلَى حَرِّ الْهَوَاجِرِ، وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ أَنَسٍ رضي الله عنه «كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَيَضَعُ أَحَدُنَا ظَرْفَ الثَّوْبِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ فِي مَكَانِ السُّجُودِ» [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِيَّاكُمْ وَسَبَّ الصَّيْفِ، وَإِطْلَاقَ الْكَلَامِ عَلَى وَجْهِ التَّسْخِطِ، فَإِنَّ ذَلِكَ طَعْنٌ فِي مُصْرَفِ الْأُمُورِ - سُبْحَانَهُ -، وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

فَإِنْ كَانَ خَبْرًا مِنْ دُونِ لَوْمٍ، كَقَوْلِهِ: الْحَرُّ فِي هَذَا الْيَوْمِ شَدِيدٌ أَوْ تَعَبْنَا مِنْ حَرِّ هَذَا الْيَوْمِ، فَهَذَا جَائِزٌ.

وَتَذَكَّرُوا وَأَنْتُمْ تَفْرُونَ مِنْ لَهَيْبِ الصَّيْفِ إِخْوَانًا لَكُمْ، قَدْ مَسَّتْهُمُ الْبِأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ، وَلَا تَنْسُوا إِخْوَانَكُمْ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الْأَعْدَاءَ فِي ثُغُورِ هَذِهِ الْبِلَادِ، فَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ حَرُّ الْمَوْقِفِ وَحَرُّ الصَّيْفِ، كَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِهِمْ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ سَلْفَكُمْ الصَّالِحَ كَانُوا يَصُومُونَ الْهَوَاجِرَ، وَيُوضُونَ أَبْنَاءَهُمْ بِصِيَامِهَا، فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ عَنْ عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ أَوْصَى ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، عَلَيْكَ بِخِصَالِ الْإِيمَانِ، وَذَكَرَ مِنْهَا: الصَّوْمَ فِي شِدَّةِ أَيَّامِ الصَّيْفِ.

فَاجْتَهِدُوا فِي الْخَيْرَاتِ، وَنَافِسُوا فِي الطَّاعَاتِ، ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى أَشْرَفِ الْبَرِيَّةِ، وَأَزْكَى الْبَشَرِيَّةِ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ...



وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

مِنْ عَجِيبِ صُنْعِ اللَّهِ، وَمِنْ دَلَائِلِ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، إِذْ سَوَّاهُ فَعَدَلَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَأَنْطَقَ لِسَانَهُ، مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ كَانَ تَنَاسُلُهُ، وَفِي قَرَارٍ مَكِينٍ جَعَلَ بِدَائِيَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السَّجْدَةَ] وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [الْمُرْسَلَاتِ] وَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الْمَلِكِ].

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ دَعَا اللَّهُ عِبَادَهُ إِلَى التَّفَكِيرِ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَالنَّظَرِ فِي خَلْقِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطَّارِقِ] وَقَالَ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِمُتَوَفِّينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذَّارِيَاتِ]، وَقَالَ: ﴿سَرُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴿٥٣﴾﴾ [فُضِّلَتْ: ٥٣] أَي مِنْ لَطِيفِ الصَّنْعَةِ، وَبَدِيعِ الْحِكْمَةِ مَا كَانَ شَاهِدًا عَلَى الْحَقِّ.

وَمَعَ الْأَدِلَّةِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ حَضْرَهَا فِي اسْتِحْقَاقِ اللَّهِ لِلْعِبَادَةِ، كَفَرَ أَقْوَامٌ بِرَبِّهِمْ، وَلَمْ يَتَوَكَّلُوا بِحَقِّهِ، فَقَالَ اللَّهُ مُسْتَنْهَمًا مُوَبِّحًا: ﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴿٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿٩﴾﴾ [عَبَسَ]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نُوحِ]، فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مِنَ الَّذِي خَلَقَكَ؟ وَصَوْرَكَ؟ وَأَنْشَأَ عَظْمَكَ وَلَحْمَكَ؟ وَقَوَى ضَعْفَكَ؟

أَلَيْسَ اللَّهُ؟ فَكَيْفَ يُعْبَدُ غَيْرُهُ؟! ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الرُّوم: ٥٤].

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ يُنْكَرَ قَوْمُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُوَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]، فَاللَّهُ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [٦٦] أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ [مريم] قَالَ اللَّهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [يس].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِّثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِّثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ» [أَخْرَجَهُ الشَّيْخَان].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
تُجْعَلُونَ ﴿١٦﴾ [المؤمنون].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ
وَالْحِكْمَةِ أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
خَيْرِ خَلْقِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاشْكُرُوا لَهُ عَلَى نِعَمِهِ، وَاحْمَدُوهُ عَلَى فَضْلِهِ، فَقَدْ
كَرَّمَكُمْ فَجَعَلَ خَلْقَكُمْ فِي أَفْضَلِ الصُّورِ، وَشَكَّلَكُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، فَقَالَ
سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَمَمَلَّنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ
(يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَشْرِيفِهِ لِبَنِي آدَمَ وَتَكْرِيمِهِ إِيَّاهُمْ فِي خَلْقِهِ لَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ
الْهَيْئَاتِ وَأَكْمَلِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] أَيْ
يَمْشِي قَائِمًا مُنْتَصِبًا عَلَى رِجْلَيْهِ وَيَأْكُلُ بِيَدَيْهِ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يَمْشِي عَلَى
أَرْبَعٍ وَيَأْكُلُ بِفَمِهِ، وَجَعَلَ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَفُوَادًا يَفْقَهُ بِذَلِكَ كُلَّهُ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ،
وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ، وَيَعْرِفُ مَنَافِعَهَا وَخَوَاصَّهَا وَمَضَارَّهَا فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَا
وَالدُّنْيَا).

أَلَا فَاعْتَبِرُوا فِي تَقَلُّبِ خَلْقِكُمْ، وَأَيَّقِنُوا بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ: ﴿هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ
ثُمَّ لِيَتَّكِنُوا شَيْوَحًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ لِيَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧].

أَلَهُ مَعَ اللَّهِ

يَقُولُ إِلَهْنَا جَل فِي عِلَاه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ بَاهٍ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رُؤُوسَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ [النمل].

أَيُّهَا النَّاسُ: لَا إِلَهَ مَعَ اللَّهِ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، عَجَزَ الْخَلْقُ أَنْ يَخْلُقُوا كَخَلْقِ اللَّهِ، قَالَ رَبُّنَا: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَجِعُوا لَهُ؛ إِنَّكَ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ؛ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ؛ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج]. فَأَيْنَ عَبَادُ الْأَصْنَامِ وَالْمُتَقَرَّبُونَ إِلَى الْأَوْثَانِ وَالْمَشَاهِدِ وَالْقُبُورِ الصَّارِفُونَ لَهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي هِيَ حَقُّ اللَّهِ مِنْ ذَبْحٍ وَنَذْرِ وَسُجُودٍ وَدُعَاءٍ وَغَيْرِهَا.

أَيْنَ الْمُلْحِدُونَ لِيَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رُؤُوسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنْ

آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ [القمان: ١١، ١٠]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس].

أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، أَنْتُمْ الضُّعَفَاءُ وَاللَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ، تَأْتِي الزَّلَازِلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ لَهَا دَفْعًا، وَتَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمُ الْأَعَاصِيرُ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهَا رَفْعًا، وَيُرْسِلُ اللَّهُ الصَّوَاعِقَ فَلَا يَمْلِكُونَ لَهَا صَدًّا ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ [فاطر]، كُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ الَّتِي فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَهَا اللَّهُ مُذَكِّرًا وَمُعْتَبِرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ فَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيُوحِّدُوهُ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ [إبراهيم]، لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَ النَّاسَ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَتَوَحَّيْدِهِ، وَالْخُضُوعَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ دَشَأْ نَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ [الشعراء: ٤] قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَيُّ: لَوْ شِئْنَا لَأَنْزَلْنَا آيَةً تَضْطَرُّهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَهَرًّا، وَلَكِنَّا لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّا لَا نُرِيدُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْإِيمَانَ الْإِخْتِيَارِيَّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ [يونس]، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٧٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأُمَّةٍ جَهَنَّمَ مِنَ الْحِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ [هود].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ مَا سَمِعْتُمْ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

الْحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى فَضْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاعْرِفُوا لَهُ حَقَّهُ، وَقُومُوا بِوَجْهِهِ، وَامْتَثِلُوا أَمْرَهُ، وَلَا تُلْهِكُمْ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ، وَأَيَّقِنُوا أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، فَلَا إِلَهَ مَعَهُ، وَلَا خَالِقَ وَلَا رَازِقَ وَلَا مُدَبِّرَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوفِّيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	آيَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
١١	السَّمَوَاتُ
١٥	الأَرْضُ
١٩	الجِبَالُ
٢٢	الرِّيَاحُ
٢٥	اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
٢٨	الشَّمْسُ
٣٢	القَمَرُ
٣٦	النُّجُومُ
٣٩	الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ
٤٢	المَطَرُ
٤٥	المَاءُ
٤٨	الشَّجَرُ وَالنَّبَاتُ مِنْ أَعْجَبِ الْآيَاتِ
٥١	الحَرُّ
٥٣	أَيَّامُ الصَّيْفِ وَشِدَّةُ الحَرِّ
٥٦	وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
٥٩	إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ
٦٣	فهرس الموضوعات

